الأحاديث القدسية :أنا أغنى الشركاء عن الشرك

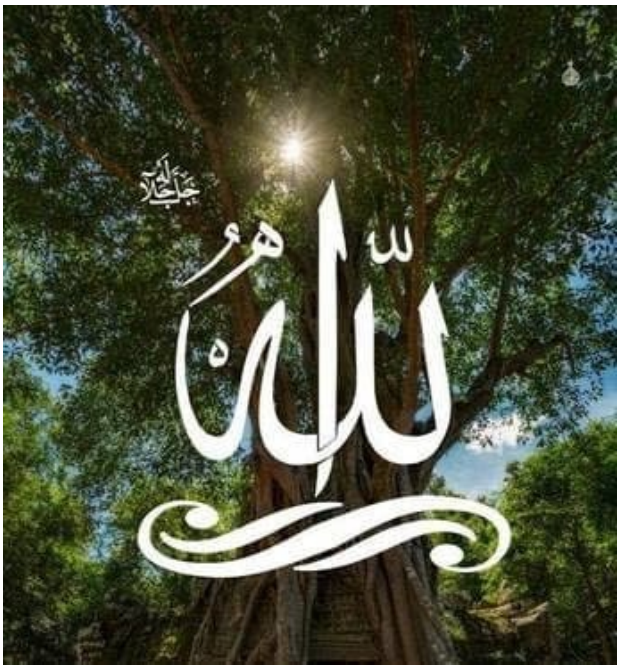

عن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : قال الله تبارك وتعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم ، وفي رواية ابن ماجه : (فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .

كلمات الحديث :

قال الله: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك) قوله: (أنا أغنى) الله غني بذاته عن كل ما سواه، وليس عمل الإنسان وإخلاصه ينفع الله جل وعلا، بل عمله لنفسه فقط: { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ } [فصلت:46] فالله غني عن عمله، ولا شك أن غناه تام وكامل، فهو غني بذاته عن كل ما سواه.

أغنى اسم تفضيل، يعني: إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع آخر، فأنا أغنى الشركاء عن المشاركة.

والتفضيل هنا لأنه يتصورأن يستغني الإنسان عن شركته مع شخص آخر بأن يكون الإنسان غنيا ولا يهتم بهذا الشيء، فيتركه لغناه وعدم حاجته.

فالله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل عملا له فيه شريك أبدا، وإنما يقبل العمل الخالص له وحده.

قوله تعالى : (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري) أي عمل يكون، صلاة، صدقة، صيام، حج، ...الخ مما يتقرب به إلى الله .

قوله: (تركته وشركه) الضمير يعود على العمل، أي: تركت العمل فيكون حابطاً باطلاً، ويجوز أن يعود على صاحبه، أي: تركت صاحبه وشركه، يعني: أن الشريك هو الذي يتولى جزاءه ويتولى ثوابه، فإذا كان يوم القيامة يقول الله جل وعلا: انظر إلى من أشركته في عملك فاطلب جزاءك عنده، والنتيجة هي الخسران المبين والعياذ بالله .

معنى الحديث :

أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم فيه .

تعريف الرياء:

هو : أن يقوم العبد بالعبادة – التي يتقرب بها إلى الله – لا يريد بها وجه الله عز وجل وحده بل يريد بها عرضاً دنيوياً أياً كان هذا العرض " ، وفرقوا بين الرياء والسمعة بأن الرياء هو العمل لرؤية الناس ، وأما السمعة فالعمل لأجل سماعهم ، فالرياء يتعلق بحاسة البصر ، والسمعة بحاسة السمع ، وفي الحديث (من سمَّع سمَّع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به) رواه البخاري .

الترهيب من الرياء:

الرياء ينافي الإخلاص الذي يقتضي أن يقصد المسلم بعمله الله وحده لا شريك له ، قال سبحانه : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } (البينة: 5) ، والمرائي في الحقيقة جعل العبادات مطية لتحصيل أغراض دنيوية ، وهي أن يمدح ويذكر بين الناس.

وبين سبحانه أن مراءاة الناس بالأعمال من أخص صفات أهل النفاق فقال سبحانه : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس } (النساء: 142) ، وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث كثيرة خطورة الرياء على دين العبد وعاقبة المرائين ، وبين أنه يخاف على أمته من الشرك الخفي أكثر مما يخاف عليهم من المسيح الدجال ، فقال عليه الصلاة والسلام : (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قلنا : بلى ، فقال : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر

رجل) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

وما ذاك إلا لأن الداعي إلى الرياء قوي في النفوس ، ومغروس في الفطر ، فالنفوس مجبولة على حب الثناء والمنزلة في قلوب الخلق ، وتجنب الذم واللوم .

أسباب الرياء :

الأمور التي تدعو إلى الرياء ثلاثة : حب المدح ، وخوف الذم ، والطمع فيما في أيدي الناس.

مظاهر الرياء

تتنوع صور الرياء ومظاهره على حسب الأعمال والعبادات التي يتقرب بها المرء :

فقد يرائي الإنسان مثلاً بإظهار بعض الأمور التي تدل على مبالغته واجتهاده في العبادة ، فربما راءى بإظهار العطش إو الإجهاد ليستدل بذلك على الصيام.

وقد يكون الرياء بالنطق واللسان ، فيتعمد إظهار العلم والحفظ وإقامة الحجة عند المجادلة والخصام ليعرف الناس مدى علمه وقوة حجته.

أويرفع صوته بالقرآن ليسمع الناس، أو يجهر بذكره لله عز وجل ليعرف الناس أنه ذاكر.

وقد يرائي بعمله كأن يطول في الصلاة ، ويزيد في الركوع و السجود إلى غير ذلك مما لا يقع تحت حصر، وكما قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " وأما الشرك فى الإرادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقل من ينجو منه " .

حكم العمل المُراءى به:

العمل لغير الله على أقسام :

فإما أن يكون الرياء في أصل العبادة كأن يؤدي الإنسان العبادة بحيث يريد بها غير الله ، أو يريد بها الله عز وجل مع غيره من المخلوقين ، فلا شك في أن العمل يبطل حينئذ ، وصاحبه آثم معرض للعقوبة ، وهو الذي جاءت فيه النصوص الصحيحة الصريحة ومنها حديثنا .

وإما أن لا يكون الرياء في أصل العبادة بل في وصفها كمن يريد بصلاته الله عز وجل ، فيدخل فيها وهو يريد أن يقَصِّر القراءة فيها والركوع والسجود ، فيعرض له خاطر بإطالة الركوع والسجود لما يرى من نظر الناس ورؤيتهم له ، فأصل العمل هنا كان لله ثم طرأت عليه نية الرياء بعد ذلك ، فهذا إن كان خاطراً ودفعه فإنه لا يضره ، وأما إن استرسل معه ، فقد اختلفت عبارات السلف هل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟

والذي رجحه الإمام أحمد وغيره أن عمله لا يبطل بذلك ، وأنه يجازى بنيته الأولى ، إلا أنه ثوابه على عمله هذا لا يكون تاماً ، بل ينقص بسبب رياءه ، ولا

يبعد أن يكون على خطر عظيم .

ترك العمل خوف الرياء

وقد يعالج البعض الخطأ فيقع في خطأ مثله أو أشد منه ، فإذا أراد أن يقوم بطاعة أو أي عمل من أعمال الخير وعرض له عارض الرياء ، خشي من هذا الخاطر ، فيترك العمل خوف الرياء ، وقد نبه العلماء على هذا المزلق الخطير وحذروا منه فقال الفضيل بن عياض : " ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما " .

علاج الرياء:

وأخيراً فليس أمر الرياء بالأمر المستعصي عن العلاج ، صحيح أنه يحتاج إلى مشقة ومجاهدة أفصحت عنها عبارات الصالحين من سلف الأمة ، فقد قال الإمام أحمد رحمه الله : " أمر النية شديد "، وقال سفيان الثوري : " ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب علي "

ولكنه مع ذلك ليس بالأمر المستحيل ، إذ من المحال أن يكلفنا الله ما لا نطيق ، ولذلك فإن من الأمور التي تعين العبد على علاج الرياء:

1- الاستعانة بالله والتعوذ الدائم به وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم فقال : (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء الله أن

يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال : قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) رواه أحمد .

2- ومنها معرفة حقيقة الرياء وأسبابه وقطعها من قلب العبد .

3- ومنها النظر في عواقب الرياء الدنيوية والأخروية ، والحرص على إخفاء العبادة وإسرارها ، وأن يكون للعبد خبيئة من عمل صالح لا يطلع عليه إلا ربه ومولاه جل وعلا .

عناصر مهمة في تكوين الإخلاص :

1- أن يهتم المخلص بنظر الخالق لا بنظر المخلوقين، فإنهم لم يغنوا عنه من الله شيئا، وقد قال الفضيل بن عياض: العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

2- أن يستوي ظاهر المخلص وباطنه، وعلانيته وسريرته، فلا يكون ظاهره عامرا وباطنه خرابا، ولا تكون علانيته عسلا، وسريرته علقما، وقد قال سرى السقطي: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله تعالى.

3- أن يستوي عنده مدح الناس وذمهم، وقد قيل: ما عليك أن تكون مذموما عند الناس إذا كنت محمودا عند الله، والعكس أيضا صحيح.

4- ألا ينظر إلى إخلاصه، فيعجب بنفسه، فيهلكه عجبه، ولذا أكد العارفون عدم

رؤية الأعمال، حتى قال أبو يعقوب السوسي: متى شهدوا في إخلاصهم الخلاص، احتاج إخلاصهم إلى إخلاص!

5- ألا يعتقد أنه قد وفى ما عليه بل يعتقد العجز والتقصير دائما ، لأن الأعمال وإن عظمت فإنها لا تكافئ أدنى نعمة من نعم الله تعالى على عبده، على أن التوفيق للعمل إنما هو من الله تعالى، فهو صاحب الفضل أولا وآخرا، فلا يقتضي العمل في ذاته ثوابا في نظر المخلص، بل يرى الثواب إحسانا من الله إليه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحدكم الجنة عمله"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته" (متفق عليه عن أبي هريرة).

6- الخوف من تسرب الرياء والهوى إلى النفس، وهو لا يشعر، فإن للشيطان سراديب خفية وملتوية، يدخل بها إلى النفس، وقد يئس من إيقاع المؤمن في المعاصي الظاهرة، فعمله الدائم معه في المعاصي الباطنة، وبها يستطيع أن يضيع عليه عباداته وأعماله التي يرجو بها الله والدار الآخرة.

ولهذا قال سهل: لا يعرف الرياء إلا مخلص، لأنه ـ لخوفه منه ـ يرقبه ويتتبعه، ويعرف أغواره ومداخله، ولا يكذب على نفسه، ويزين لها سوء عمله فتراه حسنا.

ومن أجل هذا صعب الإخلاص، وقل المخلصون، وفيه قال سهل أيضا: أهل "لا إله إلا الله" كثير، ولكن المخلصين منهم قليل!

ما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء:

1- أن يعمل العمل لله خالصاً، ثم يلقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بذلك واستبشر، فإن ذلك لا يضره، وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذرعن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه سئل عن الرجل يعمل من الخير ، ويحمده الناس عليه؟ فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن) رواه مسلم .

2- نشاط العبد بالعبادة عند رؤية العابدين:

قال المقدسي في مختصر منهاج القاصدين: قد يبيت الرجل مع المتهجدين، فيصلون أكثر الليل، وعادته قيام ساعة، فيوافقهم، أو يصومون فيصوم، ولولاهم ما انبعث هذا النشاط، فربما ظن ظان أن هذا رياء، وليس كذلك على الإطلاق، بل فيه تفصيل، وهو أن كل مؤمن يرغب في عبادة الله تعالى ولكن تعوقه العوائق وتستهويه الغفلة فربما كانت مشاهدة الغير سببا لزوال الغفلة، ثم قال: ويختبر أمره بأن يمثل القوم في مكان يراهم ولا يرونه، فإن رأى نفسه تسخو بالتعبد فهو لله، وإن لم تسخ كان سخاؤها عندهم رياء، وقس على هذا.

قلت: كسل المرء عند انفراده آت من باب قوله صلى الله عليه وسلم:" فإنما يأكل الذئب القاصية" ونشاطه داخل من باب امتثاله لقوله صلى الله عليه وسلم:" عليكم بالجماعة" متفق عليه.

3- عدم التحدث بالذنوب وكتمانها:

وهذا واجب شرعا على كل مسلم ولا يجوز المجاهرة بالمعاصي لقوله صلى الله

عليه وسلم:" كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله". متفق عليه.

والتحدث بالذنوب فيه مفاسد كثيرة ليس هذا موضع تفصيلها منها التشجيع على ارتكاب المعاصي بين العباد، والاستخفاف بأوامر الله تعالى، ومن ظن أن كتمان ذلك رياء، وتحدث بالذنوب فهو ممن قد لبس عليه الشيطان، نعوذ بالله منه.

4- اكتساب العبد الشهرة من غير طلبها:

قال المقدسي: المذموم طلب الإنسان الشهرة وأما وجودها من جهة الله تعالى من غير طلب الإنسان فليس بمذموم، غير أن في وجودها فتنة على الضعفاء. محتصر منهاج القاصدين 218.